الشرق الأوسط: دراسة في المفهوم والتحولات الجيوسياسية للحدود

The Middle East: A study of the concept and the geostrategic shifts of borders

الباحث: م. فيصل عبد اللطيف ياسين

Lec. Faisal Abdulateef Yaseen

مركز الدراسات الاستراتيجية جامعة كربلاء

Email faisal.a@uokerbala.edu.iq

الملخص

إنَّ تحديد الأسس المفاهيمية، والتعريفية، لأي رقعة جغرافية في العالم، يكون عادة محكومًا بمحددات، ومعايير، سياسية، وحضارية، وجغرافية، متنوعة، ومنطقة الشرق الأوسط ليست استثناءً من هذه القاعدة. فعلى الرغم من وجود فهم ضمني في الأوساط البحثية، والإعلامية، والدبلوماسية، يرى أنَّ منطقة الشرق الأوسط تشمل جزءًا من الدول العربية، فضلًا عن كلٍّ من تركيا، وإسرائيل، وإيران, إلا أنَّ وجود تعريف موحد، ودقيق، لهذه المنطقة لا يزال غائبًا. فمنذ ظهور استخدام مصطلح الشرق الأوسط مع بداية القرن العشرين، وحتى هذه اللحظة, مرَّ تعريف هذه المنطقة ذات الأهمية الجيوسياسية الاستثنائية، بتحولات عديدة، وكانت هذه التحولات غالبًا انعكاسًا لمصالح، ورؤى، واستراتيجيات، الامبراطوريات، والقوى العظمى، أكثر من كونها تحولات تعكس تغيرات واقعية، وحقائق ذاتية. فدلالات المفهوم تباينت بين الإمبراطورية البريطانية، والولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي, كما تأثر تأطير المفهوم أيضا بالأحداث الدولية الكبرى، مثل الحرب الباردة، والحرب الأمريكية على الإرهاب.

كلمات مفتاحية: الشرق الأوسط, الحدود الجيوسياسية, الشرق الأوسط الكبير, الشرق الأوسط الجديد.

Abstract

Determining the conceptual basis of any geographical sphere in the world is tied to various political and civilizational parameters and norms. The Middle East region is no exception to this rule. Although there is a tacit understanding among scholars, media outlets, and diplomats that the region includes a raft of Arab countries along with Turkey, Iran, and Israel, there has not been any unified and agreed-upon definition for the region. Since it ٢٠th century, the concept of this excep- was used for the first time at the beginning of the tionally significant region has gone through numerous changes. These changes, however, have reflected the interests, visions, and strategies of external superpowers rather than a result of territorial or objective changes. The connotations of the concept have varied from the British imperial perspective to the American and Soviet ones. Also, the framing of the concept has been affected by major international events such as the Cold War and the U.S .war on terror

.Keywords: The Middle East, geostrategic transformations, the greater Middle East

المقدمة

إنَّ تسمية، وتحديد، أي منطقة جغرافية في العالم، يكون في العادة نتاج لسرديات سياسية، واستراتيجية، خاضعة لمصالح، ورؤى، قوى خارجية، أكثر من كونه نابعًا من حقائق تاريخية، وجيوسياسية، أو نتيجة لرؤى محلية لسكان هذه المنطقة الجغرافية[١]. لذلك فإنَّه ليس بالأمر المستغرب، وجود غموض، وجدل مستمر، حول تعريف أي حيّز جيوسياسي، وتحديد محتواه. إنَّ منطقة الشرق الأوسط ليست مستثناة من هذه القاعدة، فعلى الرغم من الاستخدام الواسع لهذا المصطلح، في وسائل الإعلام، وفي الخطاب السياسي، والدراسات الأكاديمية، والقبول به كمُسَلَّم واقعي, إلا أنَّه لا يوجد هناك اجماع بين الدارسين، والدبلوماسيين، والمسؤولين الحكوميين، حول ما يمكن أن يعرف على أنَّه الشرق الأوسط، أو الاتفاق على حدوده. ويضيف غياب وحدة الاتساق، والتجانس الجغرافي، والثقافي، والاثني، والقومي، والديني، والمؤسسات السياسية المشتركة، بين الشعوب المكونة للنطاق الجغرافي، الذي يعرف على أنَّه الشرق الأوسط، صعوبة إضافية في تقبل التعريفات المطروحة، وتداولها, وهي صعوبة واجهها الدارسون، والأجهزة البيروقراطية المسؤولة عن تنفيذ السياسة الخارجية، في الدول الكبرى على حدٍّ سواء[٢]. يناقش هذا البحث التحولات التي طرأت وما زالت تحدث، للوصف الجيوسياسي لحدود منطقة الشرق الأوسط، خلال أكثر من قرن من الزمان، والكيفية التي تتكيف فيها الخرائط الموضوعة لهذه المنطقة، مع مصالح القوى الكبرى في كل مرحلة زمنية مختلفة.

فرضية البحث

تقترح فرضية البحث بأنَّ مفهوم الشرق الأوسط، الذي يتم تداوله في الأوساط الأكاديمية، والدبلوماسية، والإعلامية، غير واضح المعالم، ويغيب فيه التحديد الدقيق لحدوده الجغرافية, كما أنَّ المفهوم يتغير سعة، وضيقًا، بشكل يتماهى مع مصالح القوى الخارجية الكبرى، ورؤاها، ويتأثر بشكل مباشر بسياق الأحداث الدولية الكبرى.

---

(١) إنَّ تعريف الحدود الجيوسياسية لمناطق العالم، يجري عن طريق انتاج سرديات ترتبط بالمصلحة، والمنظور السائد، خلال فترة طرح هذا التعريف. للمزيد ينظر:
Karen Culcasi, "Constructing and Naturalizing the Middle East", Geographical Review, Vol. 100, No. 4, October 2010, p. 283, <https://www.jstor.org/stable/25741178> accessed February 2025, and Pınar Bilgin, 'Inventing Middle Easts? The Making of Regions through Security Discourses', The Fourth Nordic Conference on Middle Eastern Studies, Oslo,August1998,p.23, <https://www.academia.edu/605117/_1998_Inventing_Middle_Easts_The_Making_of_Regions_through_Securit y_Discourses_in_THE_MIDDLE_EAST_IN_A_GLOBALIZED_WORLD>, accessed 4 February 2025.

(٢) Fawaz Gerges, "The Study of Middle East International Relations: A critique", British Journal of the Middle East Studies,Vol.18,No.2,1991,pp.208, < https://www.jstor.org/stable/196040>, accessed 4 February 2025.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في محاولة الإجابة عن التساؤلات المتعلقة، بكيفية ظهور المصطلح للاستخدام أول مرة، وكيف تغيَّرت الدلالات، والمعاني، ومن ثَمَّ التصورات المطروحة لحدود هذا الإقليم الجغرافي عبر الزمن. كما يسعى البحث إلى الإجابة عن أسباب التغيُّر المستمر في التعريفات المقدمة للشرق الأوسط، وارتباط هذا الأمر بالتحولات في مصالح الدول الكبرى، والأحداث على الساحة الدولية.

منهجية البحث

يعتمد البحث في الأساس على المنهج التاريخي, إذ يتتبع البحث الجذور الأولى لدخول مصطلح الشرق الأوسط، قاموس العلاقات الدولية في التاريخ المعاصر, كذلك يتتبع البحث التحولات التي طرأت على استخدام المفهوم، خلال فترة الحرب الباردة، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي, ثم التوسع في استخدام المفهوم، مع تبني الولايات المتحدة لاستراتيجية الحرب على الإرهاب. كما يستخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي، في تفسير أسباب التغيُّر المزمن في دلالات المفهوم، وحدود الإقليم، ومداه.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى دراسة مفهوم الشرق الأوسط، وتتبع الجذور التاريخية لظهور هذا المصطلح. كما يهدف البحث إلى دراسة التحولات التي طرأت على هذا المفهوم خلال القرن الماضي، والدور الذي أدته التغيرات في المصالح الأمنية، والاستراتيجية، للقوى الكبرى، في توسيع أو تضييق النطاق الجيوسياسي لحدود هذه المنطقة.

هيكلية البحث

ينقسم البحث على عدة محاور, أولها يتعلق بدخول مصطلح الشرق الأوسط حيّز الاستخدام الأكاديمي، والدبلوماسي. أمَّا المحور الثاني فيرصد اتساع استخدام مفهوم الشرق الأوسط، في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية، وفي أثناء فترة الحرب الباردة. في حين يتناول المحور الثالث التطورات التي طرأت على المفهوم، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. ويرصد المحور الرابع تأثير الحرب الأمريكية على الإرهاب، والتي أعقبت أحداث أيلول عام (٢٠٠١)، في رؤية الولايات المتحدة لمنطقة الشرق الأوسط، وحدودها. ويتناول المحور الخامس للبحث عودة الحديث عن الشرق الأوسط الجديد، مع اندلاع حرب غزة، وما تلاها من صدامات في داخل الإقليم. فضلًا عن ذلك, يتضمن البحث المقدمة، والاستنتاجات، والمصادر.

أولًا- الجذور الأولى للاستخدامات المعاصرة لمفهوم الشرق الأوسط

على الرغم من أنَّ ظهور الشرق الأوسط كمصطلح سياسي، يعود إلى بدايات القرن العشرين, إلا أنَّ الجدل حول أول جهة قامت باستخدام هذا المصطلح، لا يزال قائمًا حتى يومنا هذا. ففي الوقت الذي يقر فيه الكثيرون، بأنَّ أول من استخدم هذا المصطلح، هو ضابط البحرية الأمريكي، والمؤرخ الفريد ثاير ماهان، في مقال نشر في عام (١٩٠٢), إلا أنَّ المصطلح ظهر في كتابات قبل هذا التاريخ, وتحديدًا في مقال للضابط البريطاني توماس ادوارد غوردن، بعنوان «مشاكل الشرق الأوسط», والتي سبقت مقالة ماهان بعامين. وعلى الرغم من قيام توماس ادوارد غوردن، باستخدام مصطلح الشرق الأوسط في كتاباته, إلا أنَّه لم ينسبه لنفسه, مما يشير إلى استخدام المصطلح من قبل كتّاب آخرين، سبقوا غوردن في هذا المجال[٣]. ومهما يكن من الأمر, فإنَّ كلًا من ماهان، وغوردن، لم يقوما برسم الحدود الجغرافية للمنطقة، التي وصفوها على أنَّها الشرق الأوسط[٤].

خضع مفهوم الشرق الأوسط لتغيرات مستمرة منذ ظهوره، ويعود هذا الأمر إلى التغيُّر في مصالح القوى الغربية، في المنطقة بمرور الزمن. فمنذ استخدامه لأول مرة في العقد الأول من القرن العشرين, بدأ مصطلح الشرق الأوسط يحلُّ وبشكل تدريجي، محل المصطلح الأسبق، والأكثر شيوعًا، وهو مصطلح الشرق الأدنى، وهذا الأخير كان يستخدم بشكل رئيس، لوصف الأراضي الواقعة تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية.

في هذه المرحلة تحديدًا، كان مفهوم الشرق الأوسط يعكس الرؤية البريطانية إلى المنطقة، والتي ارتكزت على ضرورة تأمين الممرات البرية، والبحرية، إلى الهند، ولاحقًا إلى الأراضي الجديدة التي اخضعتها بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى[٥]. لقد كان الشرق الأوسط البريطاني، وصفًا غامضًا لمنطقة آسيوية غير محددة المعالم، تقع بين المحيطين الهندي، والبحر الأبيض المتوسط[٦].

فضلًا عن تأثير الاستعمار البريطاني في المنطقة، في صياغة حدود منطقة الشرق الأوسط، وتعريفها, كان للانتداب، والاستعمار الفرنسي، لأجزاء معينة داخل هذا النطاق الجغرافي في تلك المرحلة، دور في تشكيل التصور المرحلي لمنطقة الشرق الأوسط، وترسيخه. فقد كانت هنالك محاولات في أوساط النخب الفرنسية، سعت إلى تضمين المغرب، وبلاد الشام، ضمن إطار نطاق جغرافي موحد، عرفته على أنَّه الشرق الأوسط، لا لسبب سوى احتلال فرنسا لبلدان الجزائر، وسوريا، ولبنان[٧].

---

(٣) Pınar Bilgin, ‹Inventing Middle Easts? The Making of Regions through Security Discourses. ١٦.

(٤) حدد ماهان حدود الشرق الأوسط بالمنطقة التي تمتد بين قناة السويس وسنغافورة. ينظر
Osman Nuri Ozal, "Where is the Middle East? The Definition and Classification Problem of the Middle East regional system in international relations", January 2011, <https://www.researchgate.net/publication/299453506_Where_is_the_Middle_East_The_Definition_and_Classification_Problem_of_the_Middle_East_as_a_Regional_Subsystem_in_International_Relations>, accessed 5 February 2025.

(٥) Pınar Bilgin, 'Inventing Middle Easts? p. 17.

(٦) Karen Culcasi, "Constructing and Naturalizing the Middle East", p. 585.

(٧) Marc Lynch, "What is the Middle East: The theory and practice of regions", Cambridge: Cambridge

خلال الحرب العالمية الثانية، بدأ صانعو السياسات البريطانيون باستخدام المصطلح، للإشارة إلى جميع الأراضي الآسيوية، وشمال إفريقيا، الواقعة غرب الهند. لم تُرسم حدود محددة للمنطقة خلال هذه الفترة. وتماشيًا مع التغييرات في سياسات الحرب البريطانية، «أُضيفت إيران عام (١٩٤٢)، وأُسقطت إريتريا في سبتمبر (١٩٤١)، ثم عادت بعد خمسة أشهر»[٨]. ولم يتراجع استخدام المفهوم البريطاني للشرق الأوسط، إلا بعد الحرب العالمية الثانية، بالتزامن مع تراجع النفوذ البريطاني على المستوى الدولي, على الرغم من وجود محاولات أخيرة، لتأطير الرؤية الأمنية البريطانية للمنطقة، بطابع مؤسسي تمثل بتشكيل حلف بغداد، والذي ضمَّ دولًا مختلفة، مثل باكستان، والعراق، وتركيا، وإيران.

ثانيًا- مفهوم الشرق الأوسط خلال فترة الحرب الباردة

لقد أصبح استخدام مصطلح الشرق الأوسط، شائعًا بشكل كبير في العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، حتى مع عدم وجود اتفاق حول الحدود الجغرافية لهذا الإقليم[٩]. إنَّ انتشار المصطلح سواء في الخطاب العام، أو في الأروقة الأكاديمية، أثار جدلًا مستمرًا ومساعي حثيثة، نحو وضع تعريف دقيق للمصطلح، ورسم الحدود الجغرافية لهذا الإقليم. وطرح قطبَا الصراع في الحرب الباردة, الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، تصورات مختلفة عن النطاق الجغرافي، الذي يشمل ما يعرف بمنطقة الشرق الأوسط, والتي ازدادت أهميتها الاستراتيجية للقوتين العظميين في ذلك الوقت، لاحتوائها على احتياطات كبيرة من مصادر الطاقة، وهو ما تسبب في تحويل المنطقة إلى ميدان للتنافس، ونشر النفوذ.

وقد أولت الولايات المتحدة في تلك المرحلة، اهتمامًا خاصًا بالتعامل مع الشرق الأوسط، كمنطقة تجمعها سمات مشتركة، ويعود هذا الأمر إلى وجود حاجة إلى ضبط التنظيم البيروقراطي، للدوائر التي تتعامل مع المصالح الأمريكية في المنطقة، المتمثلة بضمان تدفق النفط إلى الأسواق العالمية، وحماية إسرائيل، وكبح التمدد السوفيتي. فقد واجهت الدوائر الرسمية في الولايات المتحدة، ومنذ أوائل خمسينيات القرن الماضي، صعوبة في الاتفاق على الحدود الجغرافية للمنطقة[١٠].

وبعد الإعلان عن عقيدة ايزنهاور في عام (١٩٥٧)، والتي تضمنت تقديم مساعدات عسكرية، واقتصادية، لبلدان الشرق الأوسط، لمساعدتها على مواجهة الاتحاد السوفيتي، قام الكونغرس الأمريكي بالمطالبة

University Press, 2025, p. 30

(٨) Pınar Bilgin, "Whose 'Middle East'? Geopolitical Inventions and Practices of Security", International Relations, Vol.18, No.1, 2004 p. 26.< http://journals.sagepub.com/doi/abs/10.1177/0047117804041739>, accessed 15 February 2025

(٩) Fawaz Gerges, p. 210.

(١٠) Roderic H. Davison, "Where is the Middle East", The Foreign Affairs, Vol. 83, No. 4, June 1960, p. 665,< https://www.foreignaffairs.com/articles/middle-east/1960-07-01/where-middle-east>, accessed 14 February 2025.

دوايت ايزنهاور: رئيس الولايات المتحدة للفترة من ١٩٥٣ وحتى ١٩٦١.*

بتقديم تفسير، وايضاح، عمَّا يعنيه مصطلح الشرق الأوسط، الذي ورد ذكره في هذه العقيدة[١١]. وكان وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس، قد قام بتعريف الشرق الأوسط على أنَّه: «المنطقة التي تتضمن ليبيا من الغرب، وباكستان إلى الشرق، وتركيا في الشمال، والجزيرة العربية في الجنوب, بالإضافة الى السودان واثيوبيا»[١٢]. وأضاف دالاس لاحقا بأنَّ مصطلح الشرق الأوسط، والشرق الأدنى، يعنيان الأمر نفسه. وعلى الرغم من الايضاح هذا, إلا أنَّ الغموض المحيط بمفهوم الشرق الأوسط بقي مستمرًا. فبعد مرور عام واحد فقط، على تقديم دالاس رؤيته بشأن الشرق الأوسط، لم تقدم وزارة الخارجية الأميركية تعريفاً مختلفاً للمنطقة، يستبعد العديد من الدول المشمولة في الوصف السابق فحسب، بل استمرت أيضاً في التعامل مع شؤون المنطقة، عن طريق مكتب شؤون الشرق الأدنى الذي يغطي نطاق اختصاصه، منطقة تختلف عن التعريفات المقدمة سابقًا للشرق الأوسط[١٣].

أمَّا السوفييت, فقد قاموا بتقسيم الشرق الأوسط على ثلاث مناطق، أول هذه المناطق هي ما أطلق عليها السوفييت «الشرق الأوسط»، تتألف من ثلاثة دول: تركيا، وإيران، وأفغانستان, وهي دول تقع على الحدود مع الاتحاد السوفيتي. في حين قام السوفييت بتصنيف دول الشام (سوريا, ولبنان, والأردن, وإسرائيل), فضلًا عن الجزيرة العربية، والعراق، ومصر، والسودان، تحت مسمى «الشرق الأدنى». أمَّا بقية بلدان شمال إفريقيا إلى الغرب من مصر، فقد عرفها السوفييت بمصطلح «شمال افريقيا». في مقابل ذلك, تعاملت وزارة الخارجية السوفيتية في عملها، عن طريق تخصيص دائرة معنية بالشرق الأوسط، ودائرة أخرى معنية بالشرق الأدنى، ودائرة ثالثة مخصصة لشمال إفريقيا[١٤].

ثالثًا- التحولات الجيوسياسية لمفهوم الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب الباردة

لقد بذل باحثون، ومؤرخون، ومتخصصون، بعض المحاولات لتحديد حدود المنطقة، ورسم خرائطها. وعلى الرغم من تعدد التوصيفات التي تم طرحها، إلا أنَّه يمكن تصنيفها ضمن فئتين رئيستين. الفئة الأولى تميل إلى تقسيم دول المنطقة إلى مجموعات إقليمية فرعية مختلفة. على سبيل المثال، يرى ريموند هينبوش أنَّ الشرق الأوسط يضم دولًا عربية في قلبه، مع «محيط» يشمل إيران، وتركيا، وإسرائيل[١٥]. وعلى نحو مماثل، يقسم هدسون المنطقة على ثلاثة أنظمة جزئية: الشرق العربي، وشمال إفريقيا، ومنطقة الخليج[١٦]. ومن الجدير بالذكر، أنَّه بعد نهاية الحرب الباردة، كانت التعريفات في هذه الفئة الثانية، تميل إلى إضافة آسيا الوسطى كمنطقة فرعية من الشرق الأوسط[١٧].

---

(١١) Ibid, p. 665.

(١٢) Roderic H. Davison, P. 665.

(١٣)Karen Culcasi, p. 586, and Roderic H. Davison, p. 66.

(١٤) Central Intelligence Agency, Soviet Policy Toward the Middle East, December 1986, < https://www.cia.gov/readingroom/docs/CIA-RDP87T00787R000400440001-4.pdf>, accessed 16 February 2025.

(١٥) Raymond Hinnebusch, "the international politics of the Middle East", Manchester, Manchester University Press, 2003, p. 1.

(١٦)Hudson, Michael D., 1976. "The Middle East.". In World Politics, edited by James Rosenau, p. 483, New York: Free Press, cited in Osman Nuri Ozal, "where is the Middle East?", p.10.

(١٧) See, Osman Nuri Ozal, p. 12.

بخلاف الفئة الأولى، يتناول التحديد الثاني مساحةً واسعةً من الأرض. ووفقًا للمعجم السياسي للشرق الأدنى، فإنَّ الشرق الأوسط هو «المنطقة الواقعة بين المغرب غربًا، وباكستان شرقًا»[١٨]. وبالمثل، عرّف عالم السياسة الأمريكي ج. سي. هورويتز المنطقة، بأنَّها تمتد من المغرب إلى أفغانستان[١٩]. وبالاستناد إلى دراسة مستفيضة لعدد كبير من التعريفات، والخرائط، والمخططات، لاحظت كارين كولكاسي أنَّه على الرغم من وجود عدد قليل من الدول، التي تظهر باستمرار في كل توصيف، إلا أنَّ إدراج الدول الأخرى يختلف، كما هو موضح في الشكل رقم (١)[٢٠]. فتظهر خرائط كولكاسي المقارنة، أنَّ دولًا مثل العراق، وسوريا، والأردن، وإسرائيل، حاضرة دائما في أي تصنيف من تصنيفات الشرق الأوسط, في حين أنَّ دولًا أخرى مثل مصر، وتركيا، وإيران، ودول الخليج العربي، تظهر في العادة في بعض التعريفات الأخرى للشرق الأوسط. كما تشير خرائط كولكاسي إلى أنَّ السودان، وليبيا، وباكستان، هي من الدول التي تصنف غالبا على أنَّها شرق أوسطية, مقابل دول المغرب العربي، وأفغانستان، والتي تدرج أحيانا ضمن دول الشرق الأوسط. أخيرًا, لاحظت كولكاسي أنَّ هناك دولًا من النادر عدَّها ضمن الشرق الأوسط، وهي كل من أرمينيا، وجورجيا، وأذربيجان, فضلًا عن دول القرن الإفريقي المتمثلة بالصومال، وارتيريا، واثيوبيا.

إنَّ خضوع مفهوم الشرق الأوسط للتحولات المتكررة، الناجمة عن اسقاطات خارجية، لا يعني إلغاء دور التفاعلات الداخلية، والتحولات في موازين القوى داخل المنطقة. كما أنَّ هنالك أصواتًا، وتيارات، من المنطقة، تمتلك رؤاها الخاصة، والرافضة في الغالب، للتصورات المفروضة خارجيًا، والخرائط، والحدود، التي تضعها القوى الكبرى، بما يتناسب مع مصالحها الأمنية، والاستراتيجية. على سبيل المثال, رفض العديد من المنظرين العرب رفضًا قاطعًا، تبني مفهوم الشرق الأوسط, إذ يفضلون استبدال هذا المفهوم، بنظام فرعي إقليمي عربي, مشيرين إلى أنَّ هذا الأخير يعكس الحقائق التاريخية، والجغرافية، والمجتمعية، المتأصلة, كالخصائص اللغوية، والثقافية، والاجتماعية، المشتركة[٢١]. كما سوقت الكثير من التيارات، والأحزاب الإسلامية، إلى مفهوم الشرق الأوسط الإسلامي, والذي يؤكد على أنَّ الرابطة، والخصيصة الأساسية الجامعة لأغلب بلدان المنطقة، هي الديانة الإسلامية. وتبنى الكثير من المفكرين، ومنظري هذه الأحزاب، لهذه الرؤية، وأكدوا على أنَّها أكثر واقعية من الطروحات الغربية المرسومة للمنطقة[٢٢].

(١٨) Steinbach, Udo (edit)"Political Lexicon Middle East", Munich, Beck, 1979, cited in Osman Nuri Ozal, "where is the Middle East?", p.10.

(١٩) Ibid, p. 10

(٢٠) Karen Culcasi, "Constructing and naturalizing the Middle East", Geographical Review,Vol.100,No. 4,October2010,p.290,<http://onlinelibrary.wiley.com.ezproxy.flinders.edu.au/doi/10.1111/j.1931-0846.2010.00059.x/abstract>, accessed 2 February 2025

(٢١) See, Fawaz Gerges, p. 210

(٢٢) Pınar Bilgin, "Whose 'Middle East'? Geopolitical Inventions and Practices of Security", International Relations, Vol.18, No.1, 2004 pp. 32-33.

شكل (١) ثلاث خرائط مختلفة تظهر الدول من حيث تواتر ادراجها ضمن منطقة الشرق الأوسط

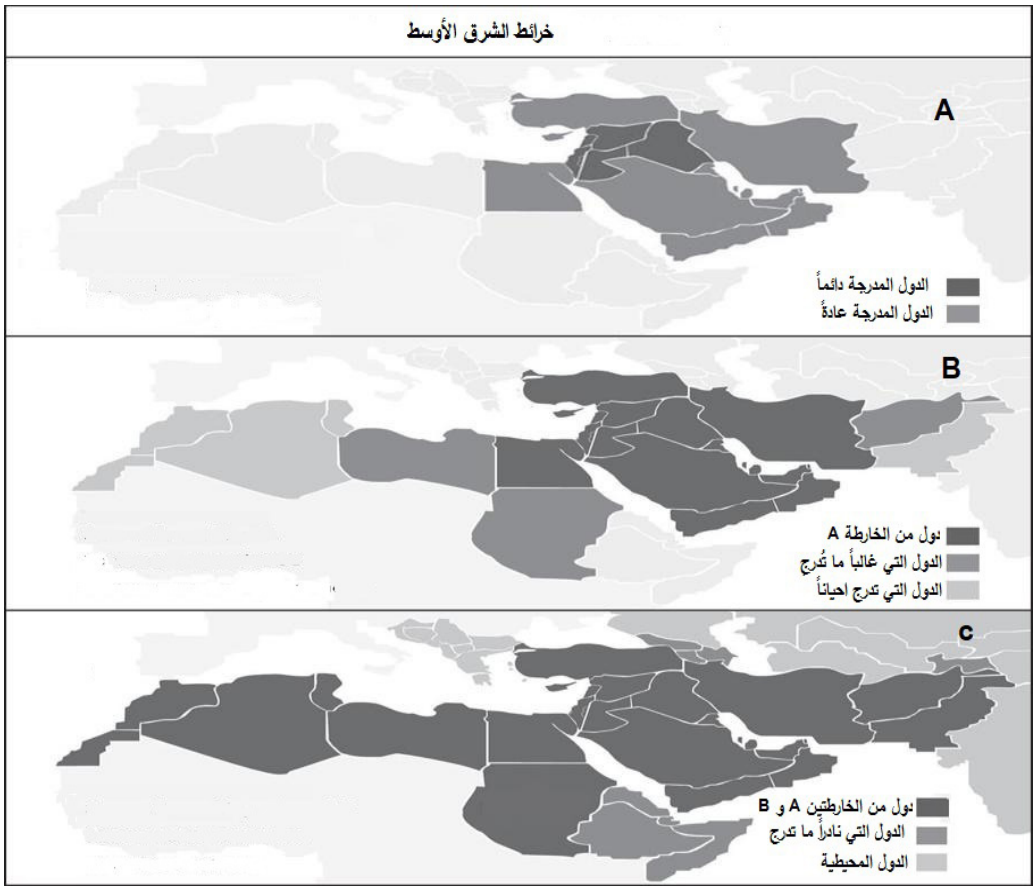

Adapted from Karen Culcasi, "Constructing and naturalizing the Middle East", Geographical Revi ew,Vol.100,No.4,October2010,p.290, http://www.jstor.org/stable/25741178. Accessed 16 May 2025.

رابعًا- أحداث الحادي عشر من سبتمبر ومبادرة الشرق الأوسط الكبير

ربما كانت هجمات تنظيم القاعدة في الحادي عشر من سبتمبر، وما تلاها من انطلاق الحرب العالمية على الإرهاب، فرصةً لإعادة النظر في المفاهيم الإقليمية. فأخذ تنظيم القاعدة طابعًا أمميًا واسعًا، امتد من المملكة العربية السعودية، ومصر، وشنَّ هجماته الأولى في إفريقيا، واتخذ من السودان ملجأً مؤقتًا، ووطَّن نفسه في كل من أفغانستان، وباكستان, وهما يقعان خارج الحدود التقليدية لمنطقة

الشرق الأوسط[٢٣]. امتدت المعركة ضد الجهاد العالمي منذ البداية، إلى إندونيسيا، والفلبين، والصومال، ويمتد، وفقًا لبعض المقاييس، إلى البوسنة، والشيشان، شمالًا، وإلى منطقة الساحل جنوبًا. إنَّ انتشار فروع تنظيم القاعدة -من تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، وتنظيم القاعدة في العراق، إلى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي- والجماعات التابعة له -من حركة الشباب إلى جبهة تحرير مورو الإسلامية - يتحدى التعريف الإقليمي، كما هو الحال مع عضوية، وشبكات، تنظيم القاعدة المركزي المعولمة بالكامل[٢٤].

دفع هذا الصراع العالمي إدارة بوش لفترة وجيزة، وكاستراتيجية لمواجهة التطرف، والإرهاب، عبر نشر الديمقراطية، والحرية, إلى طرح مفاهيم جديدة، ومبادرات، مثل «الشرق الأوسط الكبير» أو» الشرق الأوسط الجديد», والذي شمل بلدان بعيدة كل البعد، عن تلك التي تدخل ضمن المفاهيم التقليدية للشرق الأوسط, مثل شرق إفريقيا, وجنوب شرق آسيا، وآسيا الوسطى[٢٥]. إلا أنَّ المفهوم الجديد لم يحظَ بقبول واسع، سواء على المستوى المؤسسي، أو في الخطاب العام. لا يزال الناس يشيرون إلى الشرق الأوسط بشكل أساسي، وظلَّت معظم المؤسسات الأكاديمية ملتزمة بالتعريفات الإقليمية القائمة[٢٦].

ومع تراجع التركيز الأمريكي على المنطقة، والتوجه نحو صب الاهتمام على الصعود الصيني في آسيا، ألقى هذا الأمر بضلاله على التصورات المحيطة بالمنطقة، والتي ترسخت في الأولويات الاستراتيجية الأمريكية، والأعراف المؤسسية. وتزامن هذا الأمر مع الطروحات التي قدمها بعض الدارسين، والتي دعت إلى نزع الصفة «الاستعمارية» عن دراسات الشرق الأوسط، وطرح مفهوم «جنوب غرب آسيا، وشمال إفريقيا»، كبديل لرؤى غربية ترسخت عبر العقود الماضية. ويعكس هذا التصور التوجه نحو معاملة المنطقة، على أنَّها جزء من المجال الآسيوي. وفي الوقت الذي لقي فيه هذا التحول، بعضًا من المقبولية لدى أوساط محددة، وما يمثله هذا التحول من وجود لتصور عام، يتعلق بتنامي القوة الصينية، والروسية، في المنطقة، إلا أنَّ أثره بقي محدودًا، وواجه الانتقادات نفسها التي تعرض لها مفهوم الشرق الأوسط. فالنطاق الجغرافي لمنطقة جنوب غرب آسيا، وشمال إفريقيا، لا يختلف كثيرًا عن منطقة الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، أو الشرق الأوسط قبلها، وإن كانت تشمل مجموعةً مختلفةً من الدول. كما أنَّ الإطار الجغرافي المقترح، لم يقدم مسوغات، وأسباب مقنعة، حول الدول التي يجب إدراجها ضمن هذا الإطار. ويرى مارك لينش، بأنَّه «بعيدًا عن الخطاب المُبالغ فيه لرفض الهيمنة الفكرية الغربية، فإنَّ من الصعب بمكان رؤية أي تغيير أو اختلاف، تقدمه منطقة جنوب غرب آسيا، وشمال إفريقيا على الإطلاق"[٢٧].

---

(٢٣) Marc Lynch, "What is the Middle East: The theory and practice of regions", p.35

(٢٤) Ibid, p.35.

(٢٥) Stewart, Dona J. "The Greater Middle East and Reform in the Bush Administration's Ideological Imagination." Geographical Review, vol. 95, no. 3, 2005, pp. 401, < JSTOR, http://www.jstor.org/stable/30034245> Accessed 16 May 2025.

(٢٦) Ibid, p. 36.

(٢٧) Ibid, p. 35.

خامسًا- الشرق الأوسط الجديد: خرائط ما بعد الحرب على غزة

بعد تراجع الاهتمام الأمريكي في الشرق الأوسط، والذي ارتقى سلم الأولويات الأمنية الأمريكية، في الفترة التي أعقبت هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وبلغ ذروته بالاحتلال الأمريكي للعراق، وتبني إدارة الرئيس بوش الابن سياسات نشر الديمقراطية, أعادت الحرب على غزة، وتداعياتها، الحديث عن ولادة «شرق أوسط جديد» مرة أخرى. قبيل الحرب على غزة بأسابيع قليلة, وتحديدًا في شهر سبتمبر/ أيلول (٢٠٢٣), وقف رئيس الوزراء الإسرائيلي بنجامين نتنياهو، في قاعة الجمعية العامة لمجلس الأمن, حاملًا خريطة تصف رؤية إسرائيل لشرق أوسط جديد في طور التشكّل, محوره «المسالم» يتمثل بالدول المطبعة مع دولة إسرائيل، في مقابل المحور الرافض للتطبيع، وتأتي في مقدمته إيران[٢٨]. وقد يشبه هذا الطرح في عنوانه الرؤية الأمريكية، التي كان يراد لها أن تسود المنطقة، قبل حوالي عقدين من الزمن, إلا أنَّه يختلف في المحتوى، وفي الجهة المسؤولة عن تقديم هذا الطرح. فالتبشير بولادة شرق أوسط جديد، جاء هذه المرة من دولة تحاول دمج نفسها داخل المنظومة الإقليمية، إذا ما افترضنا أنَّ إسرائيل جزء من هذه المنظومة. من ناحية أخرى, التصور المطروح للمنطقة يسعى إلى الإفادة من التحولات، التي طرأت على المنطقة في الأشهر الماضية، لتوسيع الخريطة الجيوسياسية لإسرائيل، ومحيطها, عن طريق إعادة ترتيب ديناميكيات القوة، والتوازنات، بما يتوافق مع الحقائق التي تسعى إسرائيل إلى فرضها على الأرض، باستخدام الوسائل العسكرية[٢٩].

هذه ليست المرة الأولى التي تطرح فيها إسرائيل تصورها لـ «شرق أوسط جديد»، ففي مطلع تسعينيات القرن الماضي, ألَّف الرئيس الإسرائيل الأسبق شمعون بيريز، كتابًا بعنوان «الشرق الأوسط الجديد: إطار عمل وعملية نحو عصر من السلام». في هذا الكتاب وضح بيريز رؤيته للسلام في الشرق الأوسط، التي ترتكز على استغلال الإمكانات الزراعية، والتجارية، والسياحية، والصناعية، لبلدان المنطقة بشكل يبعدها عن الصراعات.

إلا أنَّ هذه الرؤية أصبحت من الماضي[٣٠]، فإسرائيل اليوم, على الصعيد المجتمعي والرسمي, أكثر صدامية، وأسهمت نجاحاتها العسكرية في لبنان، ودورها في اسقاط نظام الأسد، وإضعاف الحلفاء التقليديين لإيران، في إذكاء نزعة طموحة قائمة على إعادة رسم التوازنات في المنطقة، والتوسع بالاعتماد على القوة العسكرية، والدعم الغربي غير المحدود.

---

(٢٨)Ishaan Tharoor, “Welcome to the new, ‘new’ Middle East”, The Washington Post, 16 October 2023, <https://www.washingtonpost.com/world/2023/10/16/new-new-middle-east-israel-region-saudi-relations-fututre/>, accessed 15 May 2025.

(٢٩) نظير مجلي, «الشرق الأوسط الجديد» كما يريده نتنياهو» اليمين الإسرائيلي يجاهر بكل خططه القديمة للهيمنة على بلاد الشام», الشرق الأوسط, ١٧ أيار ٢٠٢٥, https://aawsat.com-الشرق-٥١٤٣٩٦٢/في-العمق/حصاد-الأسبوع/الأوسط-الجديد-كما-يريده-نتنياهو

(٣٠) ofer Sachs, ‘How a new Middle East could emerge: an Israeli view”, Aspeniaonline, December 11, 2024, https://aspeniaonline.it/how-a-new-middle-east-could-emerge-an-israeli-view/>, accessed 15 May 2025.

الخاتمة

منذ دخوله حيّز الاستخدام في الأدبيات الثقافية، والسياسية، في مطلع القرن الماضي, تعرَّض مصطلح الشرق الأوسط، ومفهومه، إلى تغيُّرات مستمرة، وعديدة. ومن الملاحظ أنَّ التغيُّر في الوصف الجيوسياسي، للرقعة الجغرافية للشرق الأوسط، ومن ثَمَّ دلالات هذا المفهوم تحصل، وبشكل دائم في مراحل التحولات الكبرى، التي تطرأ على مصالح القوى الكبرى، واستراتيجياتها, بدءًا من الحقبة الاستعمارية البريطانية، والفرنسية، ومرورًا بالانغماس الأمريكي، وتنافس الأخيرة مع الاتحاد السوفيتي على النفوذ في المنطقة. هذا التغيير المزمن في منظور الحدود، خلق معضلة مفاهيمية تتعلق بتعريف الشرق الأوسط. فالشرق الأوسط كمفهوم، ورؤية، يطرح من الخارج من قِبل قوى عظمى، معظمها غربية. ونظرًا لكون هذه المفاهيم، والتصورات، المقدمة للمنطقة، تمثّل اسقاطًا تجريديًا خارجيًا مصطنعًا، فلا غرابة أن تواجه هذه المفاهيم رفضًا داخليًا، وطروحات مناوئة، تتركز في حقائق موضوعية، وتاريخية، وثقافية، ذات ارتباط عضوي بشعوب المنطقة، ودولها. من ناحية أخرى, يزداد التعقيد المرتبط بالسعي إلى تحديد تعريف موحد لهذه الرقعة الجغرافية، بسبب افتقارها إلى القواسم المشتركة. فلا يوجد معيار واحد، أو حتى مجموعة معايير، تُضفي عليها طابعًا فريدًا. فالمنطقة تضم دولًا، وشعوبًا، متنوعة إلى حدٍّ كبير، ذات توجهات، وتطلعات، مختلفة، وتستجيب لولاءات مختلفة.

المصادر

1-نظير مجلي, «الشرق الأوسط الجديد» كما يريده نتنياهو» اليمين الإسرائيلي يجاهر بكل خططه القديمة للهيمنة على بلاد الشام», الشرق الأوسط, ١٧ أيار ٢٠٢٥,

https//:aawsat.com-يريده-كما-الجديد-الأوسط-الشرق-5143962/حصاد-الأسبوع/في-العمق/ نتنياهو

2-Bilgin, Pınar. "Whose 'Middle East'? Geopolitical Inventions and Practices of Security", International Relations, Vol.18, No.1, 2004 pp. 25-41.< http://journals.sagepub.com/doi/abs/10.1177/0047117804041739>, accessed 15 February 2025.

3- Bilgin, Pınar. 'Inventing Middle Easts? The Making of Regions through Security Discourses', The Fourth Nordic Conference on Middle Eastern Studies, Oslo,August1998,p.23, https://www.academia.edu/605117/_1998_Inventing_Middle_Easts_The_Making_of_Regions_through_Security_Discourses_in_THE_MIDDLE_EAST_IN_A_GLOBALIZED_WORLD>, accessed 4 February 2025.

4-Central Intelligence Agency, Soviet Policy Toward the Middle East, December 1986, < https://www.cia.gov/readingroom/docs/CIA-RDP87T00787R000400440001-4.pdf>, accessed 16 February 2025.
5-Culcasi, Karen. "Constructing and naturalizing the Middle East." Geographical Review, vol. 100, no. 4, 2010, pp. 583–97. JSTOR, http://www.jstor.org/stable/25741178. Accessed 16 May 2025.

6-Gerges, Fawaz A. "The Study of Middle East International Relations: A Critique." British Journal of Middle Eastern Studies, vol. 18, no. 2, 1991, pp. 208–20. JSTOR, http://www.jstor.org/stable/196040. Accessed 16 May 2025.

7-H. Davison, Roderic. "Where is the Middle East", The Foreign Affairs, Vol. 83, No. 4, June 1960, p. 665,< https://www.foreignaffairs.com/articles/middle-east/1960-07-01/where-middle-east>, accessed 14 February 2025.

8-Hinnebusch, Raymond. "the international politics of the Middle East", Manchester, Manchester University Press, 2003.

9-Hudson, Michael D., 1976. "The Middle East.". In World Politics, edited by James Rosenau, New York: Free Press.
10-Lynch, Marc. "What is the Middle East: The theory and practice of regions", Cambridge: Cambridge University Press, 2025.
11-Osman Nuri Ozal "Where is the Middle East? The Definition and Classification Problem of the Middle East regional system in international relations", January 2011, < https://www.researchgate.net/publication/299453506_Where_is_the_Middle_East_The_Definition_and_Classification_Problem_of_the_Middle_East_as_a_Regional_Subsystem_in_International_Relations>, accessed 5 February 2025.

12-Sachs, ofer. 'How a new Middle East could emerge: an Israeli view", Aspeniaonline, December 11, 2024, https://aspeniaonline.it/how-a-new-middle-east-could-emerge-an-israeli-view/>, accessed 15 May 2025.

13-Steinbach, Udo (edit)"Political Lexicon Middle East", Munich, Beck, 1979, cited in Osman Nuri Ozal, "where is the Middle East?"

14-Stewart, Dona J. "The Greater Middle East and Reform in the Bush Administration's Ideological Imagination." Geographical Review, vol. 95, no. 3, 2005, pp. 400–24. JSTOR, <http://www.jstor.org/stable/30034245>, accessed 16 May 2025.

15-Tharoor, Ishaan. "Welcome to the new, 'new' Middle East", The Washington Post, 16 October 2023, <https://www.washingtonpost.com/world/2023/10/16/new-new-middle-east-israel-region-saudi-relations-fututre/>, accessed 15 May 2025.